مذكرات بحار

— ٣ —

٢٠ أغسطس .

أصبت اليوم بزكام شديد أجبرنى على ملازمة الفراش نتيجة لعملنا المتواصل داخل البحر وخروجنا منه فجأة إلى ظهر السفينة حيث الرياح الباردة والتيارات القوية دون ماتجفيف لملابسنا الداخلية .

وقد تتهمنى بالبلادة ، والإهمال فى عدم الاهتمام بصحتى وكيف لم أعمل على تجفيف ملابسى أو استبدالها بأخرى يابسة . ولكنك منصفى إذا قلت لك إنه «العمل» نعم . العمل . « العمل» الذى يحتم على عدم التوقف خلاله وإلا نعت بالكسل « والتنبلة » .

منطق معكوس ونظرية مقلوبة . . أمن يعتنى بصحته يعد كسولا ؟ أمن يتقى المرض ـ والوقاية خير من العلاج ـ يعد « تنبلا » ؟ ! .

لخير لى ولإخوانى البحارة أن نوصف بالكسل والتنبلة عن أن نعرض صحتنا للمرض والهلاك .

ولكنها الحاجة :

إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً
فما حيلة المضطر إلا ركوبها

٢٥ أغسطس .

لم أجد بداً من الذهاب صباح اليوم إلى المستوصف الأميرى وكم ساءنى أنى رجعت إلى البيت آخر النهار صفر اليدين لا لأن المستوصف مقفل لعطلة رسمية ولا لأن الطبيب مريض لعلة أصابته . لالاهذا ولا ذاك فالمستوصف مفتوح الأبواب والدكتور موجود فى دار العيادة يحوطه الخدم والحشم ولا تنفك فناجيل القهوة والشاى تسعى إليه الآونة والأخرى وجهاز التليفون لايقف ساعة عن الرنين بجانبه فلا يكاد يرفعه حتى ينصرف بكل مشاعره إلى محدثه يهمس له بأحاديث من المؤكد أنها لاتمت إلى عمله بصلة والمرضى خارج العيادة يئنون ويتوجعون، ملقون على تلك الكراسى الخشبية الصلبة أو على الدكك الأسمنتية الموجعة يترقبون بفارغ الصبر دورهم إن صح أن يسمى ذلك دوراً . ومنظرهم يفتت الأكباد ويدعو إلى الرثاء لهم والعطف عليهم فهذا رجل فى العقد السابع من عمره جاء متكئاً على ابنيه من أقصى المدينة علّه يجد الدواء الناجع فى هذا المبنى بيد أنه وجد مازاد حالته سوءاً على سوء . قال ابنه والألم قد استحوذ على جميع مشاعره (لقد تركنا أعمالنا وجئنا بأبينا والأمل يحدونا فى أن نحصل على الدواء لنستأصل الداء ولكن هاأنت ترى خيبة الأمل التى أصابتنا فجعلتنا لانؤمن بالمستوصفات ولا بالمستشفيات) .

وهذا شاب فى الركن الآخر من المستوصف يتلوى من ألم مفاجىء ألم به فسارع ليستنجد بالطبيب وأين منه الطبيب ؟ أنه فى واد والطبيب فى واد آخر .

والذى زاد الطين بلة مجىء أناس متأخرين عنا أدخلو إلى الطبيب حال وصولهم . وتريد أن تحتج وتطالب بحقوقك وحقوق هؤلاء المساكين فلا تجد آذاناً صاغية فتسأل الخادم المختص فيرد عليك بوقاحة متناهية : هذا فلان بن التاجر فلان وذاك مستخدم علان وهذا ابن الوجيه زيد وهذا . . وذاك . .

يا الله أحتى بيوت الرحمة والانسانية لاتخلو من هذه العادة البغيضة وأعنى بها المحسوبية والمحاباة .

الذى أعلمه ويعلمه جميع الناس أن هذه المستشفيات وتلك المستوصفات الحكومية قد وضعت لمعالجة ذوى الفاقة من الشعب والمعدمين الذين لايستطيعون استدعاء طبيب إلى بيوتهم الخاصة أو الذهاب إلى عيادته .

وليس بمستغرب أيضاً أن ترى الدكتور يترك العيادة ليمتطى تلك السيارة الفخمة التى تنتظره أمام الباب فينطلق بها يسابق الريح . . إلى عيادة خارجية ! .

لقد طلبه أحد الأعيان لزيارة مستعجلة فلم يجد بداً من الرضوخ . . .